



23 فبراير 2014

لأيديولوجيا هي الفكر الذي تنطلق منه الثورة، والمؤثر في قياداتها وكتلتها الصلبة.

ويمكننا أن نلاحظ أن الثورات المنطلقة على قاعدة فكر قيمى وإنساني كُلت بالنجاح، أما أختها التي فارت ضيقًا بالمعاش أو بأسًا من الحياة فقد قمعت أو تمَّ تطويعها مع الوقت.

ومثير للعجب أن الثورة الفرنسية هي أكبر نماذج الفشل الثوري لأنها بدأت كثورة لليانسين في مواجهة النبلاء والقساوسة، فخلَّفت ألوانًا من الدمار والدماء، وظلَّت متراوحةً في مكانها بين شد فريك وجذب آخر من عام 1786م حتى استقرت رحاها مع دستور الجمهورية الخامسة عام 1958!

لكنها في النهاية ثورة، غير أن شهرتها في أوطاننا كانت بسبب حالة التعريب وانعدام الهوية لدى نخبتنا، والتي عملت دائمًا كفتوةٍ ممثلةٍ لمصالح الطبقة الحاكمة ولا يمثلون ثقافة وضمير الأمة كغيرها من النخب في البلاد المستقلة.

ولنا أن نتذكر أن قيم (حرية- إزاء- مساواة) أنت متأخرةٌ ولم تكن الباعث الأول للثورة، ولكنها تبلورت مع الدماء والتضحيات حتى أصبح لهذه الثورة قيم إنسانية أبعدها عن اليأس وعن الاحتراب فقربتها من النجاح.. فكانت الثورة الفرنسية.

ما الثورات التي بدأت (برفض منهجي) لسلب إرادة الشعوب، وأعلت قيمًا إنسانيةً أو عقائد دينية ضلِّبة فقد كُتبت لها النجاح.

خذ مثلاً الثورة الإيرانية التي تأسست على أفكار نضالية "للدكتور علي شريعتي" و"آية الله كاشاني"، والذي تأثر به "الخميني" قائد الثورة، ومما أخبرني به الصحفي الكبير "أ/ جابر رزق" رحمه الله (من الرعيل الأول من الإخوان) أن العام الذي اجتمع فيه "آية الله كاشاني" و"حسن البنا" و"أبو الأعلى المودودي" بالحج وانفقوا فيه على ضرورة إعادة صياغة مجتمعاتنا وفقًا للهوية الإسلامية الجامعة، كان هو العام الذي اتخذت فيه القرارات بإهدار دماء الثلاثة فعانوا جميعًا من القتل والمطاردة والتنكيل.

والمعنى أن تماسك ونجاح الثورة الإيرانية الثانية كان بسبب استنادها على عقيدة دينية راسخة ومبادئ تُعلي شأن الكرامة وترفض الظلم وتبني رؤية بديلة في الحكم.

وإذا طالعت أخبار الثورة الفيتنامية فسوف تدوب في غرامها، رغم أن القيادات الطليعية للثورة كانت شيوعية، ولكن شيوعية هؤلاء اختلفت جذريًا عن الشيوعية في بلادنا المنكوبة؛ فقد اعتنقوا هناك الشق الإنساني الذي يتفق مع كل القيم الإنسانية

والأديان السماوية مثل العدالة الاجتماعية والكرامة الوطنية والحرية وتساوي الرؤوس في المجتمع، أما شيوعيتنا فقد اكتفت بمحاربة الدين والوقوف ضد قيام الجماعات الإسلامية، وناضلت الظلم قليلاً في البدايات ثم استكانت في حضان السلطة وها هي تقف مع العسكر لولا بروز فئة شبابية لا علاقة لها بالحرس القديم، فاحتفظت بنقائنها الثوري.

وفي سجلات النضال الفيتنامي ستجد لقادتهم ذوي الأسماء الغريبة أقوالاً في الصمود والإصرار على الحقِّ والتضحية تتطابق مع كلمات "سيد قطب" و"حسن البنا" و"محمد بديع" و"محمد مرسي"، بل عليك أن تنتظر باندهاش إليهم بعد مجازر الديكتاتور (دييم) في الشمال أو مجازر الاحتلال الأمريكي في الجنوب لترى كيف يدفنون موتاهم ويللمون جراحهم ثم يلتفون على أجمل معاني الأمل ويندولون قيم الثبات وانتصار الشعوب وبقاء الحق كأنك تسمع تماقاً قيادات ثورتنا في الميادين.

من جهةٍ أخرى ستري أن الثورات الملونة (الوردية في جورجيا/ البرتغالية في أوكرانيا/ التبوليب في قرغيزيا/ الزعفران في بورما/ القرمزية في التبت) في أوائل القرن الحالي كُتِبَ لها النجاح حيناً ثم منيت بالفشل الذريع لأنها قامت بأغراضٍ مادية وتناقض (مصالح) مع السلطة الحاكمة؛ لذا فهي تتراوح بين المكسب والخسارة، كما أنها لا تخلو من سننٍ خارجي (أمريكي في الأغلب) مثل الثورة الأوكرانية التي انتصرت في 2004م ثم انطفأت بعد أقل من عقد ثم ها هي تشتعل بدافع مطلبية وليس قيمياً ويسندٍ أمريكي من جديد.

ونحن هنا لا نقلل من قيمة الهبات المطالبية والحقوقية لكننا نؤكد أن الخلفية العقائدية تصنع ثورة وتضمن لها النصر، وغيابها يصنع صراعاً يكون فيه الفوز والفشل سجلاً.

ومن حسن حظ بلادنا أن النواة الصلبة لثورتنا تركز على الإسلاميين؛ لأن الثورات تتعرض لحروب ضروس لا يتحملها الهواة ولا الحالمون الذين يتمنون وطناً جميلاً دون أن يعدوا العدة أو يثبتوا للتضحيات.

إن الهوية الإسلامية هي المعتقد الطبيعي للشعب المصري، وهي القادرة على أن تجمع مختلف الميول والمشارب، وتقوّي قلوب الجميع، وها أنت تری كيف يتقوى الشباب الليبرالي في السجون بسبب ما رآه وسمعه عن الأهوال التي يلاقونها زملاًؤهم الإسلاميون من تعذيبٍ وتكبيرٍ وقتل، ولولا هذه الفئة الصابرة لصاعت جذوة الثورة من شباب الاتجاهات الأخرى الذي دبَّ اليأس في قلبه مع أول طلقة رصاص وتبادلوا ثقافة الهزيمة واستسلموا لغربة ضياع ثورة 25 يناير.

ولكن كما تری الآن يخرج من كلِّ الاتجاهات من يجاهر بالحق ويعلو عن سفاهات الاختلاف والأخطاء الماضية، وما ذلك إلا للصمود الأسطوري لأصحاب العقيدة السليمة الذين أعدوا أنفسهم ليكونوا القاعدة التي تنطلق منها وبها الثورة المصرية.

إن ما تمر به ثورتنا اليوم من تضحيات جسيمة وتأمير سلطات الدولة وانغماس أيديها في الدم البريء لهو كفيل بأن يدمر معنويات أي فئة، لكن الثوار أصحاب العقيدة المسلمة الصافية يعتبرون هذه العقبات من علامات صحة الطريق، ومن هنا اتسعت ثورتهم واستجمعت... وتستجمع شرائح متعددة من الشعب، وانضمام غالبية الشعب لها مؤكد ومجرد مسألة وقت.

ومن هنا نؤمن أن ثورتنا سيكتب لها النجاح بمشيئة الله.

مكملين.. لا رجوع.

\* [Mohamedkamal62@ymail.com](mailto:Mohamedkamal62@ymail.com)

[www.ikhwanonline.com/177968](http://www.ikhwanonline.com/177968)